فائدتان جليلتان
فى قصة صيام يوم عاشوراء

اعلم –وفقك الله– أنه قد ثبت في الصحيحين وغيرهما؛ من حديث عائشة وعبدالله بن عمر وابن عباس وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ أَنَّ قُرَيْشًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَت تعظم يوم عَاشُورَاءَ، وكانوا يصومونه ويكسون فيه الكعبة.

وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَصُومُهُ قبل البعثة ويصومه أيضاً بعد أن أُوحي إليه بمكة، من غير أن يأمر المسلمين بصيامه.

ثم إنه لما هاجر إلى الْمَدِينَةَ ووَجَدَ اليهود يَصُومُونَهُ لأن الله نَجّى فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ، فَرَضَ عَلَى الأُمَّةِ صِيَامَهُ، فكان الصحابة ﷺ يَصُومُونه ويُصَوِّمونه أطفالهم، وكان ذلك قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ فَرْضُ رَمَضَانَ.

فَلَمّا نَزَلَ فَرْضُ رَمَضَانَ نَسَخَ النبي ﷺ وجوب صوم عاشوراء، وصار الناس يصومونه بعد ذلك استحباباً، لِمَا ورد فى فضله من أنه يكفر السنة الماضية.

ومن تأمل هذه القصة وجد فيها من الفوائد الشئ الكثير، ولكن المراد هنا بيان فائدتين:

الأولى: أن العدواة التى كانت بين النبي ﷺ وكفار قريش لم تكن لأنهم لا يؤمنون بوجود الله، فقد كانوا يعرفون الله ويعترفون بأنه هو الخالق الرازق، كما قال تعالى: ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)، بل وكانوا أيضاً يتعبدون لله ببعض العبادات كصوم يوم عاشوراء، وكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون، ويطوفون بالبيت سبعاً ويمسحون الحجر، ويسعون بين الصفا والمروة، وكانوا يُخلصون الدعاء لله وقت الشدة كما في قوله سبحانه: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)، وكانوا يعترفون بأن آلهتم لا تنفع ولا تضر، وأنهم ما دعوهم ونذروا لهم واستغاثوا بهم وذبحوا لهم، إلا ليكونوا واسطة بينهم وبين الله ووسيلة تقربهم منه وتشفع لهم عنده، كما قال تعالى: ((وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)، وقال: ((وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى).

فكانت حقيقة العداوة التى بينهم وبين النبي ﷺ أنهم يتخذون وسائط تقربهم من الله يتوسلون بها إليه، فكفَّرهم رسول الله ﷺ وقاتلهم واستحل دماءهم وأموالهم ونساءهم، مع كونهم يقرون لله بالربوبية، ويتعبدون له ببعض العبادات.

فتأمل هذه الفائدة جيداً، واعرف حقيقة شرك المشركين، وانظر ما عليه الناس اليوم تجده سواء بسواء، فهاهم يهرعون إلى الأموات يطلبون المدد، وإلى الأحجار والآبار والأضرحة يطلبون الشفاء والرزق وراحة البال والولد، وحجتهم في ذلك هى نفسها حجة المشركين الأوائل، مِنْ أنهم أصحاب ذنوب تمنع قبول دعائهم، ويحتاجون واسطة تشفع لهم عند الله ووسيلة تقربهم إليه.

ثم انظر سكوت علماء السوء وفقهاء الضلالة عنهم، وعدم تحذيرهم من هذا الشرك الصراح والكفر البواح، وكل يوم يموت من الناس واحد واثنان وعشرة وهم لا يعرفون دين الإسلام، فإلى الله المشتكى.

الفائدة الثانية: أن النبى ﷺ فرض على الأمة صيام عاشوراء، وليس فى القرآن ذكر لذلك الفرض، ثم نسخ وجوبه وليس فى القرآن ذكر لذلك النسخ أيضاً، مما يدل على أن الأحكام الشرعية التكليفية من: (واجب ومستحب ومحرم ومكروه ومباح)، كما أنها تثبت بالقرآن فإنها أيضاً تثبت بالسنة، وكما أن الله تعالى يُحِلُّ ويحرم، ويفرض على عباده ويسن لهم، فإن النبي ﷺ يحل ويحرم ويفرض ويسن، وذلك لأن سنة رسول الله ﷺ وحي من عند الله كما أن القرآن وحي من عند الله، قال تعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)، وقال حسان بن عطية: " كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها، كما يعلمه القرآن"اهـ. (1)

وفى مسند الإمام أحمد وغيره عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ أَشْيَاءَ، ثُمَّ قَالَ: " يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، يُحَدَّثُ بِحَدِيثِي، فَيَقُولُ: (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ)، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ".

وقال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ).

فتأمل هذه الفائدة ثم انظر حال أناس إذا قيل لهم: (إن إعفاء اللحية فرض، وإن التدخين محرم)، أرادوا منك أن تأتيهم بآية تقول: (إعفاء اللحية فرض، والتدخين محرم)، ظناً منهم أن الفرض هو ما جاء به القرآن وحده، وأن كلام النبى ﷺ كله من المستحبات.

وانظر كيف يجهلون أصلاً من أصول الدين، ومصدراً من مصادر التشريع.

وانظر كيف توقيرهم لرسول الله ﷺ وكيف تعظيمهم لما قال، ثم هم بعد ذلك يزعمون ليل نهار أنهم يحبون رسول الله.

وكتبه / أبويوسف أحمد بن عبدالمحسن المغربي

---

(1) الإبانة الكبرى (٩٢) لابن بطة العكبري، وهو من أعظم كتب المعتقد، التى لا يستغني عنها طالب علم.